مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

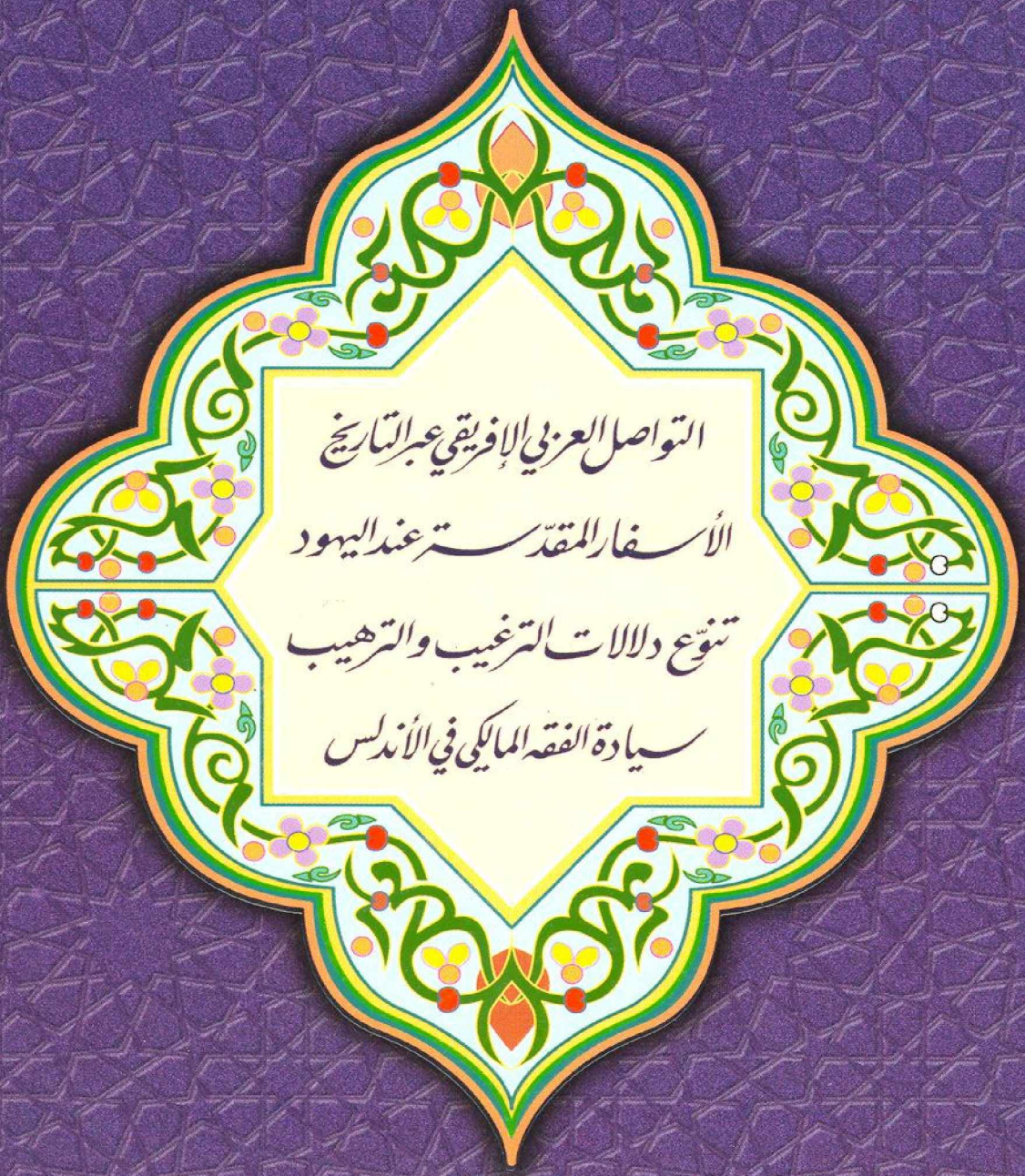

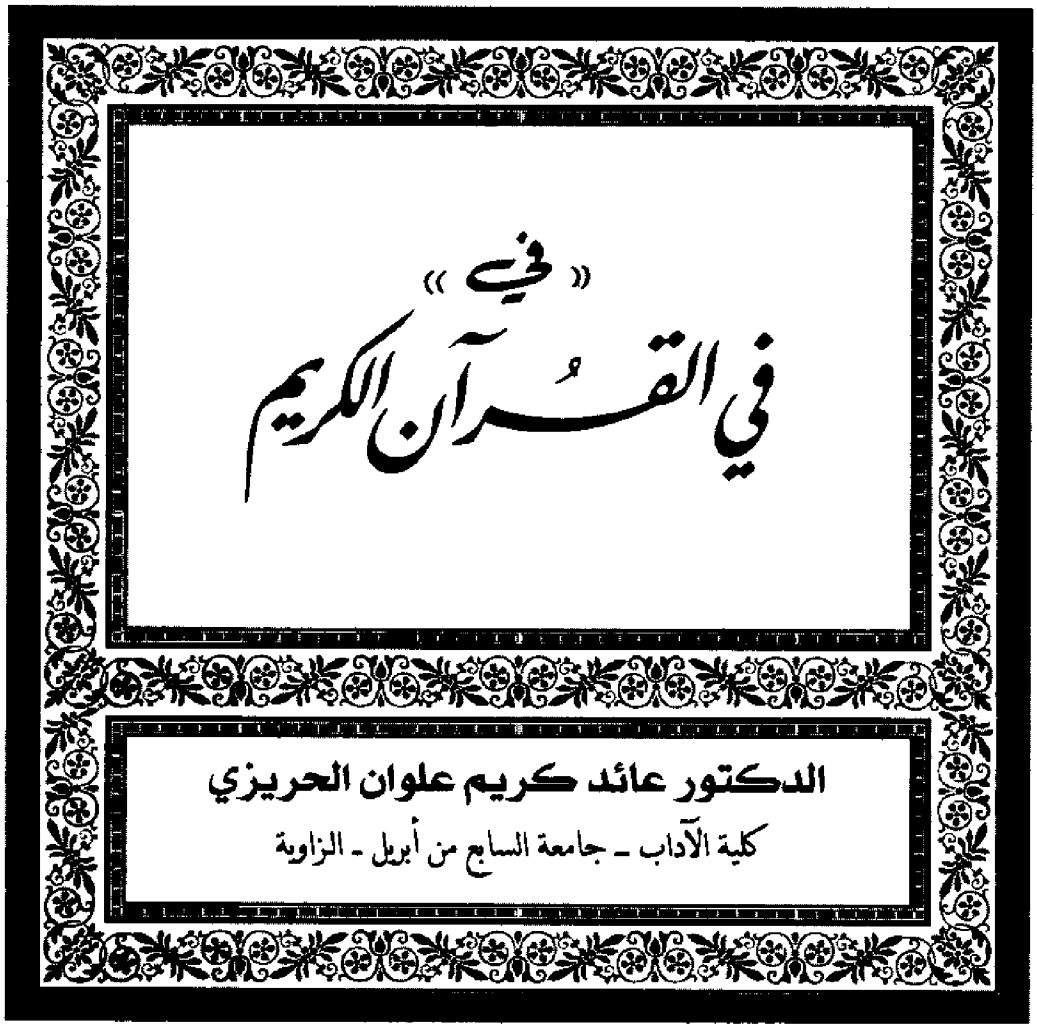

«في» حرف جر يفيد الظرفية، والظرف هو ما تضمن معنى «في» باطراد، ويدخل هذا الحرف على ظروف الزمان المبهمة والمختصة، مثل «عشت في زمن» وسافرت في يوم الجمعة، ويدخل على ظروف المكان المختصة نحو «دخلت في الغرفة»، ولا يدخل على المكانية المبهمة نحو «تحت وفوق». .

واستعمالاته في القرآن الكريم في تقديمه وتأخيره، وتعاقبه مع غيره لها دلالات معنوية وعلمية، وبلاغية وشرعية، فمن تعاقبه مع غيره لدلالة معنوية قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1]، «فخولف بين

(1) سورة سبأ، الآية: 24.

حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؛ لأن صاحب الحق كأنه مُسْتَعْلٍ على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه»[2].

ومن إشاراته العلمية أن القرآن الكريم لم يستعمل إلا الحرف «في» عندما تحدث عن السير في الأرض، فجاءت ست آيات بصيغة الأمر ومعها الحرف «في» نحو ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3] وجاءت سبع آيات بصيغة المضارع المجزوم ومعها الحرف «في» نحو ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[4]، وذلك إشارة علمية إلى كون الأرض كروية، ويحيطها غلاف غازي والسائر عليها هو داخل الغلاف الغازي، فتكون الأرض وغلافها ظرفاً له، والأنسب لذلك استعمال حرف الجر الدال على الظرفية[5] وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6] قدم «فيه» على «مواخر» اهتماماً بالبحر وترغيباً في معرفة علم البحار، وأخَّره في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[7] إيماء إلى صناعة السفن وشقها الماء عند جريها.

ومن تعاقبه مع غيره وترتيب حكم شرعي عليه تعاقبه والحرف «من» قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا. . .﴾[8] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[9] فاستعمل «فيها» دلالة على أن الرزق من أرباح أموالهم التي تُشغل في تجارة أو زراعة أو

---

(2) الكشاف 3/ 289.

(3) سورة آل عمران، الآية: 137.

(4) سورة يوسف، الآية: 109.

(5) محمد متولي شعراوي، معجزة القرآن ص46، ومحمد السيد أرناؤوط، الإعجاز العلمي في القرآن ص 196.

(6) سورة فاطر، الآية: 12.

(7) سورة النحل، الآية: 14.

(8) سورة النساء، الآية: 5.

(9) سورة النساء، الآية: 8.

صناعة واستعمل «منها» دلالة على أن الرزق من رأس المال فقط. ومن ذلك تعاقبه و«اللام» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[10] فاقتران لام الملك بالأربعة الأول دليل على تمليكهم نصيبهم من الصدقات، ومجيء «في» الظرفية مع الأربعة الباقية تعبير على أنهم لا يُملّكون، وإنما تصرف في شؤونهم، يدفع مال لمالك الرقبة لعتقها، وللدائن لخلاص الغارم، وتصرف في سبيل الله، وابن السبيل، وكررت مع «سبيل الله» توكيداً لأهمية الصرف في هذا الباب، قال الزمخشري: «وعدل عن اللام إلى ـ في ـ في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدُّق عليهم مما سبق ذكره، لأن «في» للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصبا»[11] وقال علي بن محمد: «وثَمَّ سر آخر هو أظهر وأقرب، وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاّك لما عساه يدفع إليهم وأن ما يأخذونه ملكاً، فكان دخول اللام لائقاً بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يُملّكون ما يصرف نحوهم، بل لا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم مَحالّ لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك الغارمون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله؛ وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب»[12] ومن دلالته البلاغية في التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[13] فأخر شبه الجملة «فيه» ولم يقل «لا فيه ريب»

---

(10) سورة التوبة، الآية: 59.

(11) الكشاف 2/ 197.

(12) حاشية الكشاف 2/ 198.

(13) سورة البقرة، الآية: 2.

ولكنه، سبحانه، قال: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[14] فقدم شبه الجملة «فيها» ولم يقل «لا غول فيها»؛ لأن قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ معناه أن الكتاب لا ريب فيه ولا في غيره من الكتب السماوية الأخرىٰ كالتوراة والإنجيل، ولو قال: «لا فيه ريب» لصار المعنىٰ أن القرآن الكريم لا ريب فيه، وأن الكتب الأخرىٰ مسكوت عنها أفيها ريب أم لا؟ وهذا المعنىٰ غير مراد بل يؤدي إلى الضلال، وقوله: «لا فيها غول» قَصْرٌ، ومعناه أن خمرة الجنة لا غول فيها أي لا أذىٰ فيها بعكس خمور الدنيا، ولو قال «لا غول فيها» لصار المعنىٰ لا غول فيها ولا في غيرها، وهو خلاف المألوف في خمور الدنيا.

وقسم من الأفعال يختص بحرف جر واحد نحو «توكل» مثل: على الله توكلت، وقسم يأتي بعده حرفان أو أكثر ويتغير معناه قليلاً أو كثيراً، وقد يصل التغيير إلى الضد، نحو «رغبت في الخير، ورغبت عن الشر، ورغبت إلى الله، الأول أحببته، والثاني كرهت الشر، والثالث: تضرعت إلى الله وتذللت، ولكن هذا الفعل ورد في سورة النساء بغير حرف: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ...﴾[15] ليكون الحكم عاماً شاملاً للحب والكره، لأن الرجل كان منهم «يضم اليتيمة ومالها إلى نفسه، فإن كانت جميلة تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتىٰ تموت فيرثها «وترغبون أن تنكحوهن. يحتمل أن تنكحوهن لجمالهن، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر، فإن كانت جميلة غنية قال: زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال: تزوجها، فأنت أحق بها»[16].

وقسم من الأفعال تقع بعده حروف جر متعددة فيبقىٰ معناه العام كما هو، ولكن تحدث فروقات لغوية دقيقة بسبب اختلاف حروف الجر.

---

(14) سورة الصافات، الآية: 47.

(15) سورة النساء، الآية: 127.

(16) الكشاف 1/ 567.

فالفعل «أرسل» جاء في القرآن مجرداً من حرف الجر نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ . . .﴾[17] ومع «على» نحو: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[18] ومع «في» نحو: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ . . .﴾[19] ومع «إلى» نحو: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا . . .﴾[20] ومع «اللام» نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا . . .﴾[21] ومع «من» نحو: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ . . .﴾[22] ومع «في» نحو: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ . . .﴾[23].

فأرسل من غير حرف معناه عام وهو الإرسال، وأرسل مع الباء يدل على شدة تعلق المرسل بما أرسل به، إنه إرسال ملاصق ومستعان بما دخلت عليه الباء، إن النبي لديه إيمان عظيم برسالته، وتبليغها إلى من أرسل إليهم، وأرسل مع «على» لم يأت في القرآن إلا في موضع العقوبة والأذى، وأرسل مع «في» تدل على أن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال، وتشير إلى تنقل وتخلل الرسول بين الناس يُكلم هذا ويحاجج ذاك، ويوضح لآخر، لنشر رسالته، وأرسل مع «إلى» يفيد انتهاء الإرسال عند من أرسل إليهم، وأرسل مع «اللام» تفيد كأن الرسول أصبح ملكاً لمن أرسل إليهم لشدة حبه لهم، وتفانيه في سبيل مصلحتهم، وأرسل مع «من» تفيد من بداية ما يقال له رسول أي من بداية تحمله شرف الرسالة السماوية . .

والنحاة مختلفون في إنابة حروف الجر بعضها عن بضع، فأجازه جمهور الكوفيين، ومنعه جمهور البصريين، ورأوا أنه لا ينوب حرف عن آخر إلا شذوذاً، وأما قياساً فلا، وما أَوْهَم خلاف ذلك فهو محمول على التضمين أو

---

(17) سورة التوبة، الآية: 33.

(18) سورة الفيل، الآية: 3.

(19) سورة الشعراء، الآية: 53.

(20) سورة طه، الآية: 134.

(21) سورة النساء، الآية: 79.

(22) سورة النساء، الآية: 64.

(23) سورة المؤمنون، الآية: 32.

على المجاز[24] وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أن الأصل في حروف الجر أن لا ينوب بعضها عن بعض. . . وأن لكل حرف معناه واستعماله، ولكن قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور، والحروف على هذا المعنى[25]. . فمثلاً قد يتوسع في معنى الإلصاق بالباء فيستعمل للظرفية فتقول أقمت بالبلد وفي البلد، ولكن يبقى لكل حرف معناه، واستعماله المتفرد به ولا يتماثلان تماماً»[26].

واستناداً إلى رأي جمهور الكوفيين فقد ذكر المتأخرون من النحاة كابن هشام أن لـ«في» عدة معان[27] هي:

أحدها: الظرفية، وهي إما مكانية وإمّا زمانية، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾[28].

الثاني: المصاحبة نحو ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾[29] ونحو: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾[30].

الثالث: التعليل نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمتُنَّنِي فِيهِۖ﴾[31] و﴿لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ﴾[32] وفي الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها؛ فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[33].

---

(24) د. فاضل السامرائي، معاني النحو 3/ 7.

(25) السابق 3/ 7.

(26) السابق 3/ 8.

(27) ابن هشام، مغني اللبيب 1/ 191 ـ 192.

(28) سورة الروم، الآية: 2.

(29) سورة التوبة، الآية: 47.

(30) سورة القصص، الآية: 79.

(31) سورة يوسف، الآية: 32.

(32) سورة النور، الآية: 14.

(33) شرح ابن عقيل 3/ 21.

الرابع: الاستعلاء نحو: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[34].

الخامس: مرادفة (إلى) نحو: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[35].

السادس: المقايسة ـ وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق نحو: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[36].

السابع: التوكيد، وهي الزائدة لغير التعويض[37] نحو: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾[38].

والصحيح أن «في» في الآيات السابقة باقية على ظرفيتها، وأنّها تعطي من المعاني في تلك المواضع ما لا يعطيه غيرها من الحروف أو الأسماء، ولو خرجت «في» عن ظرفيتها لما أدت المعاني الإعجازية التي أرادها القرآن الكريم، وهذه هي السمة المميزة في التعبير القرآني، استعمال اللفظ المناسب لأداء المعاني الدقيقة المقصودة، وفي اختيار التراكيب المعبرة عن المعاني المرادة، ولو استعمل حرف آخر في تلك الآيات، ولتلك المعاني لما كان فيها إعجاز، فالمصاحبة التي تدل عليها «في» غير المصاحبة التي تدل عليها «مع»، وكذلك الأمر للاستعلائية والمعاني الأخر كما سنرىٰ.

فمعنىٰ «خرجوا فيكم» يساوي «خرجوا معكم» في المعنىٰ العام، ولكن لا يساويه في المعنىٰ الدقيق، و«في زينته» لا يساوي «مع زينته» في معناه الخاص.

المقصود بـ«لو خرجوا فيكم» لو خرجوا وانتشروا بينكم وفي ثنايا جموعكم يكلمون هذا بالخذلان، ويُثبطون عزم ذاك عن الجهاد، ينتقلون من جهة إلى أخرى من الميسرة إلى الميمنة، ثم القلب أو المقدمة يخمدون العزائم، ويفشلون الهمم، ويبثون الرعب والفزع والخوف بينكم، وهذا هو المعنىٰ الذي يعطيه الحرف «في» الدال على الظرفية، ولا يعطيه اللفظ «مع» الدال على الرفقة

---

(34) سورة طه، الآية: 72.

(35) سورة إبراهيم، الآية: 14.

(36) سورة التوبة، الآية: 38.

(37) مغني اللبيب 1/ 192.

(38) سورة هود، الآية: 41.

فقط، ولا يدل على تغلغل بين المقاتلين، وعليه فإن «معية في» تختلف عن معية «مع» كما قلنا؛ لأن مصاحبة «في» تخلل وانتشار بين الجموع، ومعية «مع» لا تدل إلا على المصاحبة التي قد تكون معزولة أو غير معزولة؛ ولهذا فإن «مع» في هذا المعنىٰ، وفي هذه الصورة الموحية لا تعطي ما تعطيه «في» من المعنىٰ المقصود.

ومعنىٰ الزينة في قوله «في زينته» الحمرة والصفرة، وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان، وعليها سرج من ذهب، ومعه آلاف على زيه، وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض، عليه الحلي والديباج، وقيل في تسعين ألفاً، فيكون المقصود بـ«في» أنه خرج في ثيابه الفاخرة محاطاً بحاشيته الذين عن يمينه وعن شماله، وكأنهم صاروا له ظرفاً يحيطونه من كل جانب كما نرىٰ اليوم عند خروج ولاة الأمور، فإنهم يحاطون من جميع جهاتهم بحرسهم الخاص، ويصيرون سياجاً لهم؛ أي يصيرون ظرفاً لهم، وهم مظروفون فيهم، ولهذا فاستعمال «في» هنا هو أوفق للمعنىٰ من استعمال «مع».

والتعليل هو إبداء السبب، وذكر ابن هشام آيتين وحديثاً، قوله: «فذلكن الذي لمتنني فيه» وقوله: «لمسكم فيما أفضتم فيه» والحديث الشريف: «دخلت امرأة النار في هرة»، والمقصود عنده «لمتنني بسببه، ولمسكم بسبب ما أفضتم فيه» و«بسبب هرة».

ويبدو أن «لمتنني فيه» لا يساوي «لمتنني بسببه» وكذلك الشواهد الأخرىٰ، وإن استعمال «في» يختلف اختلافاً دقيقاً عن استعمال «بسبب» فالعفل ـ لام ـ مثلاً يتعدىٰ بـ«علىٰ» وبـ«في» لام على، ولام في، ونوع الحرف بعده يعطيه خصوصية معينة فـ«لام علىٰ» السبب خارجي، تقول: لمت زيداً على ضربه عمراً، اللوم بسبب الضرب وما أحدثه من أثر خارجي بالمضروب، ونقول: لمت زيداً في ضربه عمراً، إذا قصدنا لومه على ما أحدثه الضرب من أثر نفسي بالمضروب عمرو، من خجل، وتأوهٍ، وتألم، وانكسارِ نفسي داخلي، وكذلك «لمتنني فيه» جعل يوسف عليه السلام مجازاً كأنه محل للوم، وظرف

له، وأن زليخا داخلة في هذا الظرف منغمسة فيه حتىٰ رأسها بمراودتها فتاها الذي عاش في كنفها، ومثل ذلك في المجاز قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[39] أي اجعل ذريتي موقعاً للصلاح ومظنة له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[40] جعل القصاص ظرفاً للحياة ومكاناً لها.

وقوله: «لمسكم فيما أفضتم فيه» أي أكثرتم ودخلتم فيه من أمور خفية، وحديث هامس بقذفكم محصنة في حديث الإفك... والشاهد «في هرة» المقصود به ما أحدثه الحبس في الهرة من ألم داخلي، ألم الجوع، وشدة العطش، وحرمان الحريّة، ولو قال: «بسبب هرة» لما أشير إلى هذا الإحساس الداخلي بالجوع والعطش وما أحدثاه من انفعالات داخلية نفسية.. وجاءت «في» في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[41] لتشبيه «تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعىٰ في وعائه، فلذلك قيل في جذوع النخل»[42] أي يشدهم شداً قوياً محكماً تكون أجسادهم كأنها داخلة في جذوع النخل، ولو أخذت عوداً وربطته بإحكام حول إصبعك لرأيت أثره في الجلد وكأنه قد دخل فيه، ولو قال سبحانه: «على جذوع النخل» لكان ربطاً مجرداً يخلو من معنىٰ عنف الربط وتمكنه، وقال الشاعر العربي مشيراً إلى مثل هذا في وصفه لشدة الالتحام، وحماسة اللقاء.

ولما التقينا قرب الشوق بيننا ... خليلين ذابا رِقةً وعذابا

كأن خليلاً في ثنايا خليله ... تسرب أثناء العناق وذابا

وذهب المبرد في كامله إلى تفسير آخر هو أن النخيل صارت واحدته ظرفاً للأخرى[43] وفيه إشارة ضمنية إلى كثرة النخيل الذي أحاط المصلوبين وصار ظرفاً لهم، ولذلك عبر بـ«في» دون غيرها، و«في» على كلا التفسيرين باقية على

(39) سورة الأحقاف، الآية: 15.

(40) سورة البقرة، الآية: 179.

(41) سورة طه، الآية: 71.

(42) الكشاف 2/ 546.

(43) المبرد محمد بن يزيد، الكامل 3/ 97.

ظرفيتها؛ لأنها تؤدي في هذا الموضع ما لا تؤديه «على»، وصدق بعضهم في قوله: «في الخمر معنى ليس في العنب».

وتعطي «في» بقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ معنىً لا تعطيه «إلى» وتوضيح الأمر هو أن الفعل ردّ يأتي من غير حرف نحو «ردّ فلاناً» أي خطَّأه، ويأتي مع «عن» نحو «رد عن كذا» أي صرفه وأرجعه، ورد عليه: أي لم يقبله و«رد إليه» أي أرسله وأرجعه، وقد جاء في القرآن الكريم مع اللام كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾[44] أي جعلناكم كأنكم تملكون الكرة عليهم توكيداً لحصول ذلك، وجاء مع «إلى» نحو «فرددناه إلى أمه»[45] أي جعل الأم انتهاء غاية الرد، ومع «في» ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ ومعناها ردوا أيديهم إلى أفواههم بشدة قوية، أو ردّوها إلى أفواه الأنبياء بقوة ليسكتوهم عن الكلام، وكأنهم أدخلوها فيها كقوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾[46] تعبيراً عن شدة الإدخال وقوته، وكأنهم أدخلوا جميع أصابعهم فيها لا جزءاً منها، ومعنىٰ «في» والفعل «رد» لا يعطيه معنىٰ «إلى» معه الذي يشير إلى الانتهاء فقط، ولا يشير إلى شدة الرد كما هو مع «في».

و«في» بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ باقية على ظرفيتها، والمقايسة متأتية من التركيب العام للآية وليس من «في»، ولكنها أدت غرضها الظرفي بإشارتها إلى الموجود في داخل الآخرة.

وأدت «في» في قوله تعالى: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ غرضاً معنوياً وليست زائدة، وحرامٌ أن يقال في القرآن شيء زائد، ولو كان زائداً لما ذُكر فيه أصلاً، والفعل ـ ركب ـ يأتي مع «على» نحو: ركب على الشيء، ومع «في» ركب في الشيء وبغير حرف نحو: «ركب الشيء» والمعنى العام واحد، وهو الركوب، ولكن يوجد فرق بين ركوب وآخر، فركب على الشيء: استعلاه، والشيء له ظهر يمتطى كالحصان مثلاً، وركب في الشيء: الشيء مجوف كالسفينة في الآية،

---

(44) سورة الإسراء، الآية: 6.

(45) سورة القصص، الآية: 13.

(46) سورة البقرة، الآية: 19.

وركب الشيء، الشيء هنا مبهم، لا يعرف أنه ظهر أم مجوف؟ لا يوجد في الكلام ما يدل عليه.

والخلاصة إن «في» في جميع المواضع السابقة باقية على ظرفيتها خلافاً لجمهور النحاة والمفسرين، وقد أدت غرضاً بلاغياً لا يؤديه أي حرف آخر ـ في تلك المواضع ـ وتجريدُها من ظرفيتها بالقول إنها بمعنىٰ حرف آخر يُجردها من معناها البلاغي الإعجازي، وهو مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، ولمقتضىٰ المعنى الدقيق الذي أراده القرآن الكريم.